ناجي علوش

لكي ننهي غربتنا الثقافية

يلتقي الادباء العرب اليوم (*) ، والامة العربية تواجه تحديات مصيرية على مختلف الجبهات . انها تواجه التحدي من حيث هي امة، فهناك أجزاء هامة من أراضيها ما زالت محتلة ، وهناك أراضي مهددة بالاحتلال والضياع . وما زالت التجزئة الأقليمية تقطع أوصالها . كما أن محاولات تشويه الشخصية السياسية والثقافية العربية ، ما زالت قائمة على قدم وساق ، والتخلف ما زال يلقي بظله على ربوعنا من المحيط الى الخليج . يتم هذا كله والقوى الاساسية لامتنا ليست موظفة بمعظمها في الميادين الرئيسية .

وعلى الرغم من التطورات التي حدثت خلال السنوات العشرين الماضية ، والانجازات التي تحققت بسقوط سلطان الاستعمار القديم وانهيار مواقع القوى العميلة له في معظم الأقطار العربية ، الا ان الوحدة العربية ، وهي أساس القوة والتقدم ، لم تحقق اية خطوة موازية لسائر الخطوات .

كما ان الانجازات التي تحققت في المجالات السياسيةوالاقتصادية لم تستطع أن تؤمن حشدا للقوى ينهي الاحتلال الصهيوني لفلسطين والاراضي العربية ، ولم تتمكن من تجميع الامكانيات العربية في سبيل حل مشاكل التخلف ، ووضع أساس سليم للتقدم الاجتماعي والاقتصادي ، وانهاء كل اشكال التبعية السياسية والاقتصادية المباشرة وغير المباشرة .

ثم ان الانجازات التي تحققت في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية لم يرافقها تطور مواز في النظم السياسية باتجاه الديمقراطية وممارستها وتقاليدها . ولذلك ما زالت الحريات العامة موضوع استهانة واستهتار ، وما زالت المؤسسات الديمقراطية غائبة ، وما زالت حقوق الانسان الاساسية ، وعلى رأسها حرية الرأي والقول والاجتماع والعمل والتعليم والمشاركة في صنع القرار السياسي بعيدة عن أن تحق وان تحترم . وما زال المواطنون العرب عموما والمرأة خصوصا ، يعانون اشكالا من الكبت والقمع والاضطهاد لا يمكن قبولها ، ولا تنسجم مع المثل والقيم التي قدم من اجلها الانسان أغلى التضحيات في كل مكان . وما زالت السجون السياسية في بلادنا العربية تستقبل الأبرياء ، الذين لا ذنب لهم الا حرصهم على احترام آرائهم واجتهاداتهم ليقضوا بها سنين العذاب والمذلة دون محاكمة أو محاكمات شكلية ودون أن تتاح لهم أبسط حقوق الدفاع عن النفس .

وليس غريبا بعد هذا كله الا تحترم الكلمة وان يمتهن الفكر والأدب ، وان يعيش كثير من الادباء والعلماء والمثقفين غرباء في اقطارهم . كما انه ليس غريبا ان تعمل السلطة والاجهزة التابعة لها هنا وهناك على تحويلهم الى تابعين خاضعين وخدم في قصور السلاطين .

ايتها الأخوات ، أيها الاخوة

ان المعركة التي تخوضها امتنا هي معركة الوجود والبقاء والتقدم . ويستلزم خوض هذه المعركة توحيد كل القوى الوطنية العربية والقوى المعادية للاحتلال الصهيوني والسيطرة الأجنبية ضد اعدائنا الرئيسيين : الاحتلال الصهيوني والولايات المتحدة الأمريكية وعملائها وهذه الجبهة الوطنية الواسعة العريضة الهادفة الى حشد القوى كلها لقتال العدو الرئيسي وتحرير الارض ولتحقيق الوحدة العربية وضرب ركائز التخلف ، لا يمكن أن تجتمع الا في ظل الالتزام ببرنامج ديمقراطي ، يتيح لاطراف الجبهة أن يتحاوروا بحرية ، وان ينتقدوا بموضوعية ، وان يشاركوا في عملية التحرير والوحدة والبناء بما يملكون من جهود . ولا يمكن أن يتحقق شيء من ذلك اذا استأثرت فئة من فئات الجبهة بالسلطة ، أو حالت دون الحوار الديمقراطي ، او جعلت القمع والأرهاب أساسا للعلاقات بين القوى الوطنية والقوى المعادية للاحتلال الصهيوني والامبريالية الامريكية .

وبما ان الكلمة تلعب دورها الهام في تعبئة الجماهير ، وفي اذكاء نار الحمية واستثارة الهمم وانارة الشكل ، فان الادباء مطالبون بأن يلعبوا دورهم في هذه المجالات جميعا . فلا يجوز لهم ان يقبلوا بدور هامشي وعليهم أن يوظفوا الكلمة في خدمة تحقيق المثل والقيم الوطنية والانسانية التي ناضل من اجلها كل تاريخه .

ايتها الاخوات ، أيها الاخوة ...

ان المعركة من اجل تحرير الأرض ووحدة الوطن ، ترتبط ايضا بمعركتنا من اجل المحافظة على تراثنا ، وربط حاضرنا بماضينا ، وتمثل موارده الثرة . وهذا يتطلب منا ، نحن معاشر الادباء العرب ، ان نعود الى التراث ، هذا الينبوع الثر لكي ننهي غربتنا الثقافية

(*) كلمة الامين العام لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين في المؤتمر العاشر للادباء العرب بالجزائر

واغترابنا السياسي ، وان نبدأ من الماضي العظيم لنحافظ على اصالتنا ولنحفظ للمستقبل وجهه وروحه العربيين .

ان تاريخنا السياسي والثقافي من اكثر تواريخ الأمم المعاصرة عراقة وغنى ، وهو يختزن طاقات هائلة بلا حدود . فاذا ما اقترن تمثل التراث واحترامه بالاغتراف من العلوم والفنون اجتمع الماضي الى الحاضر ، واغتنت الاصالة بالمعاصرة ، وبمصادر العلوم والفنون على مختلف اشكالها واقطارها .

ان الذين يتنكرون للتراث العربي ، يتنكرون لانفسهم ، ويبعدون عن الاساس الذي يمكن أن يقوم عليه البناء الجديد ، وتكتمل به ملامح الشخصية العربية المعاصرة التي تجمع عراقة الماضي وثروات الحاضر من العلوم والفنون .

وهذا يقتضي ان يصرف اتحاد الادباء العرب جزءا اساسيا من جهوده لنشر التراث على أوسع نطاق والتعريف به ، وهو ما لم نقم به حتى الآن ، مع ان القسم الاعظم من تراثنا ما زال غير منشور ولا معروف على نطاق واسع . ولقد كان ادراج موضوع السمات الثورية في تراثنا ، ضمن جدول اعمال هذا المؤتمر ، بادرة خيرة ، علينا أن نتبعها بمجموعة من الخطوات المحدودة .

أيتها الاخوات ، ايها الاخوة

ان المعركة التي تخوضها امتنا تقتضي منا أن نعتبر أنفسنا جنودا نقاتل على الجبهة الثقافية ، اكثر الجبهات اتساعا وتعقيدا واهمية ، وابعدها اثرا على المدى البعيد .

وعلى هذه الجبهة تدور اليوم معارك طاحنة ، بين المحاولات الرامية الى المحافظة على الثقافة العربية والشخصية العربية ، وتطويرهما واغنائهما والمؤامرات الهادفة الى تشويه معالم هذه الشخصية وطمس معالمها ...

وتستخدم القوى المعادية كل وسائلها ، ومن ذلك التكنولوجيا المتقدمة ، لبلبلة عقولنا وافساد اجيالنا الصاعدة . ونحن مطالبون بمواجهة هذه الحملة الواسعة الكبيرة واحباط كل مخططاتها واهدافها.

* * *

وتبقى ، بعد ذلك كله ، قضية فلسطين قلب الأمة العربية وقضيتها الرئيسية . ولن أطيل عليكم الحديث هنا . أن الشعب الفلسطيني ما زال يقاتل على اكثر من جبهة ، نضرب في قلب تل ابيب فنضرب في بيروت ، وندعو الى توجيه البنادق نحو العدو الرئيسي . فتتحرك وراء ظهورنا البنادق التي تصمت امام العدو . ولقد عانينا من ذلك ما تعرفون خلال السنوات الماضية ، وقدمنا الكثير من التضحيات، وقلنا مع المتنبي :

وسوى الروم خلف ظهرك روم
فعلى أي جانبيك تميل ؟

ومع ذلك ، فان هذه المؤامرات لن تحرفنا عن الهدف الرئيسي ، ولن ترهبنا او تفت من عضدنا ، وستزيدنا قوة وصلابة واستعدادا للتضحية والعطاء . اننا سنقاتل ضد الاحتلال الصهيوني والأمبريالية الامريكية وعملائها ، وسنظل ندعو جماهير امتنا العربية وقواها الوطنية الى المشاركة الفعلية فيه . أما الذين يوجهون الرصاص الى ظهورنا ، فسنردعهم ردعا مناسبا ، ونحن على ذلك قادرون .

وسنواصل المسيرة لنحبط كل مشاريع التسويات مهما اختلفت اسماؤها واشكالها ، ليظل تحرير فلسطين كاملة قضيتنا الاساسية وشعارنا الذي لا محيد عنه .

واننا ونحن نقاتل على كل الجبهات ، ندعو أمتنا العربية الى المشاركة الفعلية في هذه المعركة ، وذلك بأن تعد عدتها للقتال ، وتجعله الوجه الرئيسي لسياستها في كل المجالات ، بدلا من سياسة القصور والعجز والتهرب والمناورات والمساومات .

والأمة العربية تملك الكثير الكثير من الامكانيات البشرية والاقتصادية ، ويجب ان توظف كل هذه الامكانيات في المعركة. والذين يتهربون أو يبخلون على المعركة ببعض ما لديهم لن تغفر لهم جماهيرنا العربية ، وهي على ذلك قادرة .

لقد قرر الشعب الفلسطيني أن يكون طليعة صدام في هذه المعركة الضارية ، وان يقدم التضحيات الكبيرة ، وشعبنا لن يتردد او يتراجع مهما عظمت العقبات او كثرت الصعوبات ، سنظل حتى والرصاص موجه الى ظهورنا نقاتل العدو الرئيسي ، وندعو كل القوى لمحاربته ، ونعمل لكشف الدعوات الاستسلامية واحباطها ، بأي لبوس تلبست .

أيتها الاخوات ، ايها الاخوة

لقد جئنا الى الجزائر ، لنشارك في هذا المؤتمر ، ونساهم في عملية التفاعل التي تتم بين الادباء العرب ، رغم الحواجز والحدود والاشكالات السياسية التي تطل برؤسها هنا وهناك .

ونحن نعتقد أن عملية التفاعل هذه ضرورية لخلق قاعدة ثقافية للوحدة العربية ، أساس قوة الأمة العربية وتقدمها .

وسنعمل لكي يكون هذا المؤتمر خطوة على طريق تطوير اتحاد الادباء العرب وزيادة فعاليته .

ولعل انعقاد هذا المؤتمر في الجزائر يعطينا المزيد من الثقة والأمل ، بأن الامة العربية أقوى من كل القوى التي تحاول السيطرة عليها ومن كل محاولات تغريبها .ولقد اجنثت الثورة الجزائرية اكبر معاقل الاستيطان في المغرب العربي . وكانت هذه الضربة ايذانا بانتهاء الاستعمار القديم في بلادنا العربية وستجتث الثورة الفلسطينية الدولة الصهيونية اكبر معاقل الاستيطان والاستعمار ، لا في الشرق العربي فحسب بل في العالم اجمع . ولقد علمنا ثوار الجزائر ان الكفاح المسلح ، المعبر عن ارادة الجماهير ، المجند لقواها هو طريق التحرير الوحيد ، فطريق احباط كل مناورات الامبريالية ومؤامراتهم . وسنظل مخلصين لهذا الطريق .

صدر حديثا

نحن نحب الشمس

قصص قصيرة

محمد عبدالملك

* * *

لحن الشتاء

قصص قصيرة

عبدالله علي خليفه

منشورات دار الغد ـ البحرين ص .ب (٥٠٥)